

## جذور وأصول الفكر الإيقاعى (14)

مقتطفات من كتاب:

” حكمة المجانين (1) ”

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD010717.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوى

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/07/01

السنة العاشرة - العدد: 3591



### مقدمة

أحمد الله سبحانه أن عدد من يتابعونى بجديّة هو قليل جدا، وهم بالنسبة لى فضل من الله وكرم منهم، كما أعلم أنهم لا يهتمون كثيرا بعمق التخصص ولا بتفاصيل البحث العلمى التقليدى بقدر ما يتابعون هذا الوعى العربى (لم أقل العقل العربى لأسباب يعرفها من يتابعنى من هؤلاء القلة الكرام) ، وهو يتجول حرا فى رحابهم، نتعرف معه على النفس البشرية من واقع ثقافتنا، وبلغتنا، وهم على درجة من الثقة والطيبة والاهتمام لدرجة أنهم يسمحون لى بالتنقل من موضوع لموضوع، دون أن يعيقنى التزام نحو دارسين محددين ، أو متابعين راصدين.



مع اقتراب إتمام السنة العاشرة لصدور هذه النشرة استأذنت أن أختصرها، لأعطى مساحة أكبر من الوقت لنشر "أعمالى الناقصة" (رافضا مصطلح الأعمال الكاملة، فلا عمل يكتمل حتى بعد رحيل صاحبه)، وقد بدأت فعلا بمقتطفات من كتاب لى كتبته منذ نصف قرن، بعنوان "عندما يتعربى الإنسان" وقد تصالحت معه وعرفت لماذا أحبه الناس برغم موقفى منه، لكنه لم يكن كتابا فى النقد، ولا حتى أعتبرته أبدا بقصد الإبداع، وطبعا لم يكن كتابا علميا فى الأمراض النفسية لكننى تصالحت عليه وأنا أعيد طبعه هذه الطبعة الثالثة، وعرفت فائدته للناس ولماذا أحبوه هكذا، وفعلا لقى قبولا جديدا من أصدقاء النشرة (والموقع. )

ثم انتقلت إلى أعمالى النقدية وهى الأهم بالنسبة لفكرى الإيقاعى التطورى، وبدأت فى الاقتطاف من كتابى "رباعيات ورباعيات" وهو نقد مقارن لرباعيات جاهين، ونجيب سرور والخيام.

ثم انتقلت بعد ذلك إلى نقد بعض أعمال محفوظ بدءا بنقدى الباكر الذى ظهر فى كتاب "قراءات فى نجيب محفوظ" الذى ظهر سنة 1992، وكان المفروض أن أكمل، بعد نشر ست نشرات على مدى أسبوعين، لكننى حين راجعت بعد ذلك المقتطفات الجاهز الصالحة لدعم فكرى الإيقاعى التطورى سواء فى هذا العمل الباكر، أو فى الكتاب التالى فى نقد محفوظ أيضا، وهو الكتاب بعنوان "دراسات نقدية فى نجيب محفوظ" (وهو تحت الطبع أيضا) وقد جمعت فيه ما نشرته حديثا (2011 - 2016) فى الدورية الحولية "فى نقد نجيب محفوظ" التى يصدرها المجلس الأعلى للثقافة، أقول حين نظرت إلى كل هذا وجدت أن المقتطفات من نقد محفوظ وحده قد تستغرق بضعة شهور فى المساحة التى خصصتها لذلك (ثلاثة أيام فى الاسبوع: السبت والأحد والإثنين) فاستشعرت أن هذا قد يفرض على هذه القلة الكريمة التى تتابعنى وجهة نظر نقدية من مصدر واحد، ربما لا يصبرون على رتابتها، كما

أحمد الله سبحانه أن عدد من يتابعونى بجديّة هو قليل جدا، وهم بالنسبة لى فضل من الله وكرم منهم، كما أعلم أنهم لا يهتمون كثيرا بعمق التخصص ولا بتفاصيل البحث العلمى التقليدى بقدر ما يتابعون هذا الوعى العربى

اكتشفت أن النشرة كلها قد تنقلب إلى النقد الأدبي ومناقشته، ولا مانع عندي شخصيا ذلك لأن النقد الأدبي بالنسبة لى هو مدخل مهم وله أولوية قصوى، ذلك أننى اكتشفت أن أعمالى النقدية ربما تكون هى أساس فكرى فى الطبفسى عموما، أكثر من الكتب العلمية التقليدية فى الطب النفسى، وقد ذكرت سابقا أن مصطلح "نقد النص البشرى" ينبع من هذا المنطلق دون قصد معين.

وبعد

دعونى أستسمحكم مرة أخرى - ليست أخيرة طبعاً - أن أتقل فى الاقتطاف من بين كل أعمالى - تحت الطبع حالياً - بحرية ، دون التزام بالانتهاء من عمل بعد الآخر، وخاصة وأنا أراجع - للطبع - أكثر من عمل فى نفس الوقت، وأجد فيها جميعاً ما يدعم فكرى ويصلح للاقتطاف حتى أكاد أعجز أن أفاضل بينها فى الوقت الراهن.

العامل المشترك بين كل ذلك هو أننى وأنا أراجع الأصول أكتشف أننى لم أقرأ هذه الأعمال بعد صدورها من عشرات السنين، ثم أكتشف أننى سجلت فيها ما لم أكن أحسب أنه خطر لى آنذاك وقت كتابتها، بل إن الأمر قد وصل إلى اننى أقرأها وكأنى أقرأ لكاتب آخر أتعرف عليه من أول وجديد.

الكتاب الذى سوف أقتطف من اليوم هو كتاب غريب فى نوعه، فلا هو نقد، ولا هو قصة، ولا هو شعر بالفصحى أو بالعامية، ولا هو علم تقليدى، أما ماذا هو، فدوعنا نتعرف على ذلك مما يلى:

.....صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بعنوان "حكمة المجانين": "طلقات من عيادة نفسية"

(سنة 1979<sup>(1)</sup>)، وكنت أود بذلك أن أورد بعض دينى لهؤلاء الأصدقاء الذين تعلمت منهم أغلب ما كان ينقصنى فعلاً، حتى كدت أعتبر ممارستى مهنتى المصدر الأول لمعرفتى بالإنسان، ونفسى، وربى، والناس، وقد استقبل أغلب من أعرف هذا العمل باعتبار أننى سمعت هذه الأقوال حرفياً من هؤلاء الأساتذة رغماً عنهم، وتصور الكثيرون أننى ناقل لأقوال أصدقائى المرضى كما هى، لذلك رأيت إطالة العنوان لأبين أن الحكمة هى بفضلهم حالة كونى مصاحباً متعلماً منهم.

هذا وقد وصلنى ما تعلمته منهم فعلاً، ولكن ليس بشكل مباشر طبعاً، ولا حرفياً أبداً فأثبته فى هذا العمل الذى اعتبرته ضمن مهمتى الأساسية لتوصيل ما وصلنى إلى أصحابه، وهو ما رأيت بعد ذلك بسنوات أن كثيراً منه يمكن أن يوضع تحت عنوان "تعتة" باعتبار أنها محاولة لتحريك الوعى الساكن المستسلم، وقد خطر لى أن اسمى هذا العمل فى الطبعة الجديدة باسم "تعتة" لكننى وجدت أنه أكثر من مجرد "تعتة" فهو طلاقات فعلاً، أمل أن ينطلق منها نور معرفة تفتح القلوب المغلقة، أو المستسلمة لما رانَ عليها، فأضفت إلى الاسم "طلقات من خبراتهم"، ثم عنوان فرعى آخر ذلك أننى انتبهت إلى أن الطلاقات -إلا أن تكون ألعاباً نارياً- لا تفتح القلوب بل قد تفرعها، فغيرت العنوان الفرعى إلى العنوان الحالى. "فتح أفعال القلوب".

كما أننى قمت بتحديث وتصحيح عدد من العبارات ضد كل من نصحونى بالأفعل، لكننى لم أستطع أن أعمل بنصيحتهم، شاعراً أن إعلان التغيير، حسب ما طرأ على فى المراحل اللاحقة لصدور الطبعة الأولى، هو أمر أكثر أمانة ومسئولية.

وبعد

قبل أن أبدأ فى الاقتطاف من هذا المصدر الجديد سوف أكتفى اليوم بالتعريف بالكتاب من خلال

بعض ما كتبت فى مقدمة الطبعة الأولى سنة 1979

....\* وأعود إليهم (أصدقائى المجانين) ألتمس منهم العون والنصح فأجدهم وقد اكتفوا بنصب سيرك

الجنون خبرة إنسانية شديدة  
الثراء شديدة الخطورة،  
والرؤية التى يراها المجنون  
على ما تحمل من صدق وإثارة  
وتعدّ ليست شرفه الوجود،  
ولا هى نهاية المطاف، حيث  
إنما - وإن أعلنت جزءاً من  
الحقيقة - فإن ذلك صادر  
من مثل سيبى، لوجود مهزوم،  
وفشل صريح

قد وفتت طويلاً أمام القول  
الساخر "خذوا الحكمة من  
أفواه المجانين، فهو قول لم  
يشر إلى أن المجنون حكيم  
أبداً، وهو قول لا يعلى من  
قدر الجنون ذاته، وإنما هو  
يحملنا مسؤولية تمنعنا من  
الاستهانة بما يقول المجنون،  
فكأنه لا يدعم الجنون بقدر  
ما يحرص على الاستفادة من  
"المعنى" الذى يكمن وراءه

الرفض.. وإطلاق صواريخهم العنيفة.. مثل الألعاب النارية.. وقد أخفوا آلام وجودهم تحت أرض  
اليأس الساحق..“.

\*الجنون خبرة إنسانية شديدة الثراء شديدة الخطورة، والرؤية التي يراها المجنون على ما تحمل من  
صدق وإثارة وتحذّر ليست شرف الوجود، ولا هي نهاية المطاف، حيث إنها – وإن أعلنت جزءاً من  
الحقيقة – فإن ذلك صادر من مثل سيء لوجود مهزوم، وفشل صريح..“.

... \*وقد وقفت طويلاً أمام القول السائر “خذوا الحكمة من أفواه المجانين، فهو قول لم يشر إلى أن  
المجنون حكيم أبداً، وهو قول لا يعلى من قدر الجنون ذاته، وإنما هو يحملنا مسئولية تمنعنا من  
الاستهانة بما يقول المجنون، فكأنه لا يدعم الجنون بقدر ما يحرص على الاستفادة من “المعنى” الذي  
يكمن وراءه.

\*وإذا كان المجنون يقول أحياناً “كلاماً” هو الصدق ذاته، إلا أنه لا يتحمل مسئولية صدقه هذا... ولا  
هو يلتزم بتحقيقه، كما أنه إذا كان المجنون يعلن بتناثره الذي يحتج به فشل الحياة العادية أو عجز  
التنويم الشائع الخادع، فهو لا يعطى بديلاً، ولا مثلاً يحتذى، بل بالعكس إنه يشوه الصدق ويخيف من  
الحقيقة.

\*والطبيب النفسى حين يرى هذا التناقض الصارخ بين ما يخرج من “أفواه المجانين” من حكمة  
وصدق، وبين ما يؤكده سلوكهم اليومي العاجز من فشل وعبث، مسئول بشكل ما عن القيام بترجمة هذه  
الإشارات المنذرة إلى “معنى” حكيم يفيد المجنون في تجربته المرعبة، (في إطار حدود مهنته الضيق)  
ثم قد يفيد الناس: من خلال التزامه بوجود اجتماعى أوسع، ووجود إنسانى أعمق.

\*و ضد كل الحسابات، خرج هذا الكلام إليكم “هكذا”، ولكم أن تقبلوه أو أن تلعنوه.. هذه مسئوليتكم،  
ولكن لى أن أرجو ألا تحتقروه أو تستهينوا به لمجرد أنه أكبر من اللحظة أو أعنف من القدرة.

المقطم: 3/1976

وغداً نكمل من هذا المصدر الجديد

-1 كتبت الأصل سنة 1976 بما فى ذلك المقدمة التى رحلت أفسر فيها لماذا أُلجأ إلى هذا التحايل  
بكل أسلوب وتشكيل يمكن أن يوصل رؤيتى إلى أصحابها، وقد طالقت المقدمة لهذا السبب، وبعد مضى  
نحو أربعين عاماً، وجدت أنه لا معنى لإعادة مبرراتى بكل هذه الإطالة فاكتفيت باقتطاف ما يناسب  
مرور الزمن والتحديث.

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

اشترائكم... آت الد...م في إصدارات الشبكة

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

خدمات الاعلان بالمتجر الإلكتروني

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=39&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=39&controller=category&id_lang=3)

الطبيب النفسى حين يرى  
هذا التناقض الصارخ بين ما  
يخرج من “أفواه المجانين”  
من حكمة وصدق، وبين ما  
يؤكده سلوكهم اليومي  
العاجز من فشل وعبث، مسئول  
بشكل ما عن القيام بترجمة  
هذه الإشارات المنذرة إلى  
”معنى” حكيم يفيد المجنون  
فى تجربته المرعبة

إصدار الكتاب السنوي الرابع:  
"ش.ع.ن: إنجازات أربعة عشرة عاماً من الكدم"  
(شامل كامل الانجازات)

بمناسبة:

- الذكرى الرابعة عشرة لاطلاق الموقع العلمي "شبكة العلوم النفسية العربية"

- اختتام "الاسبوع السنوي الثاني لاصداراته "ش.ع.ن" في علوم وطب النفس " من 13 الى 20 جوان 2017



تحميل الكتاب السنوي الرابع ( كامل الانجازات )

- التحميل من موقع " شبكة العلوم النفسية العربية"

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet14Years.pdf>

- التحميل من موقع المتجر الإلكتروني لـ " مؤسسة العلوم النفسية العربية"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=296&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=296&controller=product&id_lang=3)



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية  
معاً ... نذهب أبعد

مركز باصاا  
Bassaaer

وفي أنفسكم أفلا تبصرون